

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رمضان 1420 - خواطر إيمانية - الدرس : 15 - من سورة الأعراف - رحمة الله.

16-12-1999

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

رحمة الله تشمل من يتقيه و يستقيم على أمره :

أيها الأخوة الكرام؛ ربنا جلّ جلاله يُخاطبنا بطريقةٍ نفهمها، فقال:

﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾

[ سورة البقرة: 156 ]

الله عزّ وجل لا يَكْتُوبُ، والكتابة من صفات البشر، ولكن لأن الإنسان حينما يكون في حالةٍ صعبةٍ، ومعه عقد مكتوب يطمئن، فالكتابة هذه لغتنا، نحن إذا اتفقنا اتفاقاً شفهياً، ثم تَبَيَّنَ كتاباً، هذا التثبيت يطمئنا، فربنا عزّ وجل طمأننا أن رحمته كتبها للذين آمنوا، ومن هذا القبيل آيات كثيرة، مثلاً:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

[ سورة يس: 82 ]

كن فيكون في ثلاث ثوان، بينما بين الأمر وتنفيذه الزمن معدوم، أيضاً كن فيكون تقريباً لنا، فربنا عزّ وجل يطمئن عباده أن هذا الذي ينقي ويستقيم كُتِبَتْ له الرحمة، ومعنى كُتِبَتْ أنها ثابتة له، من دون شك.

الشهوات قيود :

شيء آخر: الشهوات قيود، أغلال، والإنسان إما أن يكون عبداً أو أن يكون حراً:

(( تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم - وتعس عبد البطن وعبد الخميصة - أي الثياب ))

[ من الدر المنثور عن أبي هريرة ]

طبعاً بالمقابل سعد عبد الله عزّ وجل، فربنا عزّ وجل يقول:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

[ سورة الأعراف: 157 ]

وهذه الحقيقة لا يعرفها إلا من ذاقها، إلا من كان مُثَقلاً في الجاهلية بشهواتٍ تُفَيِّدُهُ، فلما اصطاح مع الله عزَّ وجل شعر بحريةٍ ما بعدها حرية، شعر بخفةٍ، كل هذه القيود تخلَّص منها، والمؤمن ميزته أنه حُرٌّ لا توجد شهوة تُفَيِّدُهُ، هو خاضعٌ لأمر الله عزَّ وجل، فهذا الشعور أنه ليس مقيداً بغلٍ يقيّد حركته، هو مع الله دائماً..

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[ سورة الأعراف: 157 ]

### الدعاء وحده لا يكفي دون تطبيق منهج الله عز وجل :

الاستسقاء شيء قديم، سيدنا موسى استسقى ربه، أي طلب السقيا من الله، ورد ببعض الآثار أن هذا النبي الكريم عندما استسقى ربه قال: " يا موسى إن فيكم عاصياً ". فالمعصية تمنع رحمة الله عزَّ وجل. فقال موسى: " من كان عاصياً لله فليغادرنا " ثم نزلت الأمطار كأفواه القُرب ولم يُغادر أحداً، هكذا يروي الأثر القدسي أن " يا رب من هذا الذي كان يعصيك ؟ " فقال الله له: " عجبت لك يا موسى أستره عاصياً وأفضحه تائباً؟ " .

يبدو أنه قد تاب، وهذا درسٌ بليغٌ لنا، إن أردنا رحمة الله عزَّ وجل لا ينبغي أن نكتفي بالدعاء، لا. كما ورد في الدعوة إلى صلاة الاستسقاء ينبغي أن نرد المظالم إلى أهلها، ينبغي أن نزيل المنكرات من بيوتنا، ينبغي أن نطيق شرع الله في أعمالنا، فالدعاء وحده لا يكفي، لكيلا يفاجأ الإنسان أن دعونا ولم يستجب لنا، لا بدَّ من أن يرافق الدعاء استجابةً لله عزَّ وجل، لأن الله عزَّ وجل يقول:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[ سورة غافر: 60 ]

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

[ سورة البقرة : 186 ]

إلى الدعاء المُستجاب:

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

[ سورة البقرة : 186 ]

فالموضوع دقيق.

## الرزق بيد الله وهو أداة عقاب أو مكافأة :

الله عزَّ وجلَّ ثبتَّ أشياء كثيرة، وحركَ أشياء كثيرة، فهناك ملايين الأمور مثبتَّة، كدورة الأفلاك، نحن لا يوجد لدينا دعاء شروق، أن يوماً من الأيام لا توجد شمس، يا رب نريد الشمس، الشمس ثابتة، ثبتناها لك، القمر ثابت، نظام الليل والنهار ثابت، الشمس والقمر ثابتان، خصائص المواد ثابتة، آلاف الأشياء كله مثبت، لكنه حركَ الرزق، وإن كان المطر مبني على علم دقيق جداً لكن مفتاح التشغيل بيد الله عزَّ وجلَّ، فقد يسوق مطراً إلى أناسٍ فيموتون غرقاً، وقد يحجبها عن أناسٍ فيموتون عطشاً، فالرزق؛ رزق محرَّك، فالذي ثبتته لاستقرار النظام في الأرض، والذي حركه لتربية الناس، فنحن نُربِّي بالرزق، والدليل:

﴿وَأَلَّو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا\* لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

[سورة الجن : 16-17]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف: 96]

وقد يُحرم المرء بعضَ الرزق بالمعصية، فالرزق ليس ثابتاً بل هو مُحرك، يحركه الله كيف يشاء، لعله يجعله أحياناً أداة عقاب، أو أداة مكافأة.

## " الرحمة خاصة والبلاء يعم " مقولة بين الناس ليس لها أصل :

هناك مقولة بين الناس شائعة ليس لها أصل أن: " الرحمة خاصة والبلاء يعم ". البلاء يعم هذا الشيء يتنافى مع قوله تعالى:

﴿وَلَا تَرَرُ وَاِزْرَةً وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الأنعام: 164]

ليس من العدل أن يساق الناس جميعاً بعقابٍ واحد إذا كان فيهم طائع، فربنا عزَّ وجلَّ يقول:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

[سورة الأعراف : 165]

الآية واضحة، الذي ينهى عن السوء يُنجيه الله عزَّ وجلَّ، والذي وقع في الحرام يؤخذ بعذابٍ بئيس، أما أن يكون البلاء هكذا يعم فعل المعنى المقصود من قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾

[سورة الأنفال: 25]

هذا المعنى دقيق، الذين ظلموا منكم خاصة، أي الإنسان إذا عرف الحق، ولم يأمر به، هو مستقيم لكن ما أمر بالمعروف، ولا نهى عن المنكر، هذا ذنبه، لذلك:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْىَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[سورة هود: 117]

الصالحون يهلكون، أما المصلحون فينجبهم الله عز وجل، فكل إنسان يكتفي بنفسه فقط عطل الفريضة السادسة، عندنا خمس فرائض والسادسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**الإنسان في دار ابتلاء و هو ممتحن مع الله عز وجل :**

أيضاً أنت في دار ابتلاء، وأنت ممتحن مع الله عز وجل، ومواد الامتحان ما نلتها وما حُرمتها، ألا يوجد في الجامعة مقررات؟ لو أنها اثنتا عشرة مادة، ما دمت أنت في امتحان فمواد الامتحان هي كما يلي؛ كل حظ من حظوظ الدنيا نلتها من الله فهو أكبر مادة امتحانك، مادة امتحان، أردت المال فنلتها، تمتحن بالمال، طلبت الصحة فنلتها، ممتحن بالصحة، طلبت الزوجة فنلتها، ممتحن بالزوجة، الآن طلبت المال فحرمته، ممتحن بحرمان المال، طلبت الصحة فلم توفّق إليها، ممتحن بالمرض. فأنت ممتحن فيما آتاك وممتحن فيما زوي عنك، وهذا معنى الدعاء الشريف:

((اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم وما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما

تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

[الجامع الصغير عن عبد الله بن يزيد الخطمي]

**الدين منهج كامل :**

في الإسلام سلوك مريح، عبادات شكلية؛ نصلي، نصوم، نعمل عمرة، نحج، أما الانضباط في كسب المال، والانضباط في إنفاق المال فهذا يحتاج إلى إرادة قوية، الانضباط في العلاقة مع المرأة يحتاج إلى إرادة قوية، فهناك أناس يأخذون من الدين ما كان عليهم سهلاً..

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ ﴾

[سورة مريم: 59]

ورثوا هذا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى، ويقولون: سيغفر لنا. هذا حال معظم المسلمين، يقول لك: الله لا يمتحننا، نحن عبید إحسان ولسنا عبید امتحان، كلنا مذنبين يا أخي، لا تسعنا إلا رحمة الله. هذا الكلام قاله من سبقنا وقد أخذوا به، لأن الإنسان ينتقي من الدين ما هو سهل وما يعجبه، ويدع ما لا يعجبه، هذا صار ديناً انتقائياً، هذا الدين فُصِّلَ تفصيلاً..

## ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً ﴾

[ سورة المدثر : 52 ]

أي الذي يريد ديناً على مقاسه، تفصيل، الذي يعجبه يأخذه، والذي لا يعجبه لا يأخذه، فالدين منهج كامل، وإن كانت كلمة لعلها تبدو قاسية: إما أن تأخذه بكل تفصيلاته، وإما لا تقطف ثماره، إن أخذت ببعضه لا تقطف ثماره.

### أعظم الأعمال عند الله من يحمل الناس على الاستقامة :

يبدو أن من أعظم الأعمال عند الله من دون استثناء هؤلاء الذين يمسون بالكتاب، أي يحملون الناس على الاستقامة، يحملونهم على الطاعة، قال تعالى:

### ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

يمسون الناس بالكتاب عن طريق التوضيح، والتبيين، والمعونة، والإقناع، والتيسير، والإحسان، المَحْصِلَةُ أن ينتهي به مقام الدعوة إلى أن يستقيم الناس على أمر الله، يمسون بالكتاب، الكتاب بين أيدينا، لكن بين أن نقرأه وبين أن نطيقه مسافة كبيرة جداً.